جـــامعـــة الجـــزائـــر
UNIVERSITÉ ALGER2
مجلة مشكلات الحضارة

الحضارة عند برتراند راسل و إشكالية الصمود في زمن الحروب الكونية
Civilization according to Russell and the problem of resilience in times of global wars

فاطمة بويحي
طالبة دكتوراه-جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله
fatma.bouyahia@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال: 2021-04-22 **تاريخ القبول:**2021-06-07

تاريخ النشر: 2021/06/28

ملخص:
عرف العالم حربين عالميتين جعلت العالم يعيش حالة من التوجس لم يعرفها من قبل، مما فرض على الجميع البحث عن حلول لحماية ما أنتجه الإنسان على مر العصور من مشيدات حضارية، ولما كان الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل (1970/1872) فيلسوفا لا يعيش اغترابا على مشكلات مجتمعه الإنساني، حاول إيجاد حلول لهذه المعضلة، ودراستنا هذه تهدف إلى كشف أهمية تصوره الحضاري في حل المشكلات الحضارية وكيفية تجاوزها.
ومن جملة النتائج التي توصلنا إليها هي أن راسل حاول تقديم مشروع متكامل لحماية حضارتنا من الاندثار، حتى وإن تم وصفه بالطوباوي، لكنه رغم ذلك يبقى سراجا منيرا لازال ينير الطريق أمام الرافضين للحروب والمحبين للسلام إلى يومنا هذا .
الكلمات المفتاحية: برتراند راسل؛الحضارة؛ الحكومة العالمية؛ الحرب؛ السلام العالمي.

Abstract:
The world knew two world wars that made people live in fear ; which had not known before from any one; this forced everyone to search for solutions to protect our civilization from extinction ; and when the English philosopher Bertrand Russell (1872/1970) did not live far from the problems of his human society ; he had tryed to find solutions to this dilemma; and our study aims to reveal the importance of his civilized perception in solving civilization problem .
Among the results ; we have reached is that Russell tried to integrate project to protect our civilization ; even if he was described as utopia ; but despite that it remains a bright lamp that continues to illuminate the way for who reject wars ; and those who love peace nowadays
Keywords : Bertrand Russell ; civilization ; world government ; war; world peace.

مقدمة:
مع ارتفاع ألسنة الحروب المندلعة هنا وهناك، وامتدادها لكل ما يمكن أن تصل إليه أيديها المغلفة بالخراب، بعد أن تدعّمت بأسلحة الدمار الشامل، أصبح البحث عن حل يجنب حضارتنا المعاصرة الاندثار أكثر من واجب، فارتفعت العديد من الأصوات المطالبة بإيقاف هذه العبثية، ليصدح صوت الفيلسوف البريطاني المعاصر برتراند راسل Bertrand Russell عاليا، مطالبا بإيقاف تخريب العالم من

خلال التفكير في مشروع سلام عالمي تضمنه حكومة عالمية مهمتها الأسمى هي حماية الحضارة الإنسانية من الانهيار، فكان موضوع بحثنا ينصب حول المشروع الحضاري الراسلي، والذي ينوي من خلاله إعادة هيكلة الحضارة الإنسانية المعاصرة، وبعث روحها الحقيقية التي فقدتها في خضم تشيئها، فطرحنا الإشكال التالي: هل يمكن إنقاذ الحضارة الإنسانية من الاندثار في زمن الحروب الكونية؟

ولمعالجة الموضوع تناولنا إشكاليات فرعية تتمحور حول مفهوم الحضارة عند راسل، ومراحل تطورها، وأهم الأخطار المحدقة بها، مع تقديم الحلول التي اقترحها، ولقد اعتمدنا في ذلك على المنهج التحليلي.

العرض:

1. الحضارة بين المفهوم و التطور:

1.1مفهوم الحضارة:

يرتبط مفهوم كلمة "الحضارة" في اللغة العربية بالحضور، فنقول حضر يحضر حَضارة وحِضارة، أي نقيض المغيب، فالحضور يقتضي الإقامة[1]، فنقول هذا حاضر والآخر غائب، مما يجعل فعل الحضور متعلق بالإقامة في محل بعينه. كما ويرتبط مفهومها بفتح الحاء أو كسرها بالاستقرار في مكان معين، بشرط ممارسة نشاط إنتاجي يفضي إلى التطور، كالزراعة مثلا، فإذا «ولج (الناس أرضا معينة) تقدموا في اكتساب العيش، وفي بناء المدن وفي تحصيل المعرفة وفي الانتظام الداخلي، والتعامل الخارجي، وكان لهم حظهم من الرفاه، ومن الإبداع »[2] وصفوا حضرا، أو حضاريين، هذا ما يجعل صفة الحضاري متعلقة في الأساس بالإقامة في الحواضر والمدن، وما ينشأ عن هذه الإقامة من فنون الحياة ومظاهرها [3]، فيصبح مفهومها بذلك مطابقا إلى كل صور المدنية، وما يصاحبها من صور وأنماط عيشها.

أما في اللغات الأجنبية، تشير كلمة الحضارة la civilisation في القاموس الفرنسي وفق الموسوعة الفلسفية **لأندري لالاند** إلى كل << مجموعة من الظواهر الاجتماعية المركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل، تتسم بسمة دينية، أخلاقية، جمالية، فنية، تقنية أو علمية، ومشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض، أو في عدة مجتمعات مترابطة، كالحضارة الصينية، والحضارة المتوسطية >>[4].

أي أنها سمة مجتمع من المجتمعات، تتجلى فيه صفات معينة تميزه عن غيره، قد تكون دينية، أو أخلاقية، أو جمالية، أو فنية أو تقنية أو علمية، وتكون بذلك نظاما معقدا من الظواهر الاجتماعية تتداخل فيه صور مختلفة تجعله مميزا عن البربرية والتخلف، وترتبط أساسا بالدين والفن والعلم والتقنية، المكتسبة كلها عن طريق التربية[5] ، مما يجعلها محصلة من المورثات الإجتماعية التي تجعل الجماعات المؤطرة اجتماعيا وفق الأطر المتواترة عن طريق الاعداد التربوي، بعيدة عن الجماعات البدائية، التي لازالت مصنفة في خانة البربرية.

أما في القاموس الانجليزي تشير كلمة حضارة civilization عند تايلور إلى<< هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع >>[6]، فهي جملة التراكمات المعرفية التي أنتجها الإنسان في سيرورته التاريخية بداية من ظهور المجتمع الزراعي، وصولا إلى المجتمع العلمي المعاصر، ومرورا باختراع الكتابة، إنها رحلة الإنسان التاريخي في سبيل تحسين ظروف حياته، ومقدار المجهود الذي يبذله

([1]) ابن منظور، **لسان العرب**، الكتاب 4، دار صادر، بيروت، ص 197.

([2]) قسطنطين زريق، **في معركة الحضارة**، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت، 1964، ص 27.

([3]) أندريه لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، تر خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط 2، بيروت، باريس، 2001، ص 172.

([4])(Dictionnaire **HACHETTE**; Edition 2007 . p 324 .

([5]) اندريه لالاند، المرجع نفسه، ص 241.

([6])(Edward Burnet Taylor, Primitive culture: Researches into the Development of Mythology , Religion , Art , and Custom . p 1 . 31 نقلا عن دنيس كوش ، نفس المرجع ، ص

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- الموقع الإلكتروني(URL) : http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

لبلوغ تلك الثمرة سواء أ كان المجهود مقصودا أم غير مقصود، أو كان الإثمار ماديا كالمنشآت والمباني، أو معنويا [1] كالآداب والفنون على اختلافها.

2.1 مفهوم الحضارة عند برتراند راسل:

يمكن تعريف المصطلحات تعريفا مفهوميا، أو ماصدقيا، فأما الأول فيعتمد على تحديد الصفات الماهوية التي تفصل الأنواع عن بعضها، ليتعلق الثاني بتحديد الماصدقات التي تصدق عليها صفات المفهوم لنصل إليه، وهذا هو ما اعتمده راسل في ضبط تصوره للحضارة، إذ انطلق من تحديد الماصدقات التي ينطبق عليها تصور (متحضر)، وفصلها عن الماصدقات التي لا ينطبق عليها. فعرّف الأقوام البدائية بدلالة ماصدقاتها، من خلال حصر كل من لم يخرج بعد من دائرة الغريزة الحيوانية، ومن يتخذ من الغابات أين تبرز كل صور التوحش موطنا له[2]، هكذا تنحصر الأقوام البدائية في حيز تحيط به صور التوحش التي تفتقر إلى ثنائية المعرفة والتدبير التي تعد في رأيه عصب التمدن[3]. وهو لا يختلف في هذا عن ابن خلدون، باعتبار أن مقياس المدنية هو التوحش والتأنس.

بهذا لا يختلف مفهوم الحضارة عن المدنية، لأن الأولى لا تقوم إلا بين أسوار الثانية، وكل الحضارات القديمة لم تظهر إلا في المدن التي تميزت بالرفاهية الإقتصادية بعد توفير الأمن الغذائي الذي ضمنه توفر المياه، لذلك أطلق عليها راسل اسم حضارات الأنهار، باعتبار أن الاستقرار سيمنحها وقتا كافيا لإنتاج الفنون، التي كانت محصلة ضرورية لظهور الكتابة[4].

هكذا تصبح الحضارة عبارة عن كل منتوج إنساني يتجاوز تلبية الحاجة البيولوجية إلى تلبية الرغبة الذوقية، سواء تعلق الأمر بالمشيدات الإنسانية العظيمة كالبناءات والسدود وغيرها، أو بكل منتوج إنساني يحمل حسا ذوقيا تم استصداره من دون وعي، كالأغاني الفلكلورية التي كان يؤديها الفلاحون في مزارعهم [5].

بهذا يجمع راسل بين صورتين للحضارة، تتعلق الأولى بالصورة العامة، والتي ترتبط بكل المشيدات الإنسانية في عموميتها، والتي تحدد مستوى تطور المدينة، من عدمه، أما الصورة الثانية فهي تتعلق بخصوصيات الحضارات، والتي ترتبط بكل المنتوجات الإنسانية التي تميز الحضارات بعضها عن بعض.

2. مراحل تطور الحضارة:

كلما تطورت الحضارات وازدهرت إلا وصادفها الأفول يوما ما، هي حركة التاريخ الدورية التي تنطلق من الميلاد وتزدهر في الشباب لتأفل بعدها وتموت، وكأنها تقترب في حركيتها تلك من الإنسان، الذي يولد ويكبر ليكون مصيره المحتوم هو الموت، هكذا تسير الحضارات إلى نهايتها وفق التصور الخلدوني، الذي يحصر حركية التاريخ لكل أمة بين الميلاد والوفاة، فيصبح مآل كل مدينة هو النهاية. وهذا نفس التعبير الذي ذكره راسل، باعتبار أن الحضارات تولد تحت ظروف معينة، لتتطور، وتأفل بعدها لتحل مكانها حضارة جديدة « ففي كل مرة تتحطم حضارة كانت قد وصلت إلى ارتفاع معين، ثم تدمرت، لتنبني على أنقاضها حضارة أخرى، في بعض المرات بعد فترة طويلة من الفوضى (...)، في كل هذا نرى فقط الحركة الدورية للتاريخ، الولادة والنمو والانحلال والموت، في الإمبراطوريات، والحضارات كما هو

([1]) حسين مؤنس، **الحضارة ، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، عالم المعرفة، ط 2، الكويت، 1998، 13.

([2]) برتراند راسل، **أسس لإعادة البناء الاجتماعي**، تر: ابراهيم يوسف النجار، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1987، ص 75 .

([3])(Bertrand Russell. **Bertrand Russell's Dictionary of Mind ; Matter and Morals** ، Philosophical Library ، New York ، 1952 ، p 77

([4]) Ibid ; 78 .

([5])(Bertrand Russell ، **the problem of china** ; Georg Allen and UNWIN LTD . Ruskin House ; London ; p 12 .

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** : http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

الحال مع الحيوانات» [1]، لذلك يجب استيعاب هذه الدورة لحماية حضارتنا، التي تمر عنده بالمراحل التالية:

1.2 مرحلة النمو:

تتعدد أسباب ميلاد الحضارات، ولكن كل واحدة منها تحتاج إلى ظروف معينة تحدد معالمها، ولا يختلف راسل هنا عن فلاسفة الحضارة على تنوع مشاربهم، إذ يقترب من توينبي في حديثه عن عامل التحدي في بناء حضارة من الحضارات، والتحدي الذي يقصده راسل هنا هو الخوف من الموت، الذي نتلمسه في صناعة الأسلحة البدائية ليتسنى للإنسان قتل الحيوانات ليطهوها بعد اكتشاف النار[2]، فلعب هذا العنصر دوره الفعال في استقرار الإنسان على ضفاف الأنهار لتوفير الأمن الغذائي بتوفر المياه، اكتساب وقت أكبر لتوفير الحماية من هجمات الحيوانات المفترسة[3]، أو حتى الأعداء بهذا شكل تحدي والظروف الطبيعية والاستجابة إليها أولى عوامل ميلاد الحضارات، لتكون الوحدة بين أبناء القبيلة أو المدينة العامل الثاني في ذلك.

ويقترب راسل في تصوره هذا من ابن خلدون، الذي جعل من العصبية أهم عامل لبناء الدول، فلا يمكن تشكيل حضارة معينة في تصور فيلسوفنا إذا لم يكن هناك عامل مشترك يجمع بين أفرادها، لتكون القومية أهم عامل يمكنه مد حبال التواصل بين جميع المواطنين[4]، ومع تعدد القوميات، أو لنقل العصبيات حسب التصور الخلدوني سيولد صراع بينها سيزيد في وحدة المنتمين إلى كل واحدة منها، لتشكل المحبة بين أفراد الأمة الواحدة، والكراهية والخوف من القوميات الأخرى سببا قويا لميلاد حضارة من الحضارات.

2.2 مرحلة التطور:

بمجرد تشكل حضارة من الحضارات سيسعى المنتمون إليها إلى تثبيت عراها لتكون قوة لا يستهان بها، ولن يكون ذلك متيسرا في التصور الراسلي إذا لم تستطع الأمة وضع عادات تفكير جديدة تخالف عادات ما قبل المدنية، وتاريخ الحضارات القديمة يثبت ذلك، إذ لم يكن للصين أن تشيّد حضارة لازالت معالمها ثابتة إلى اليوم لولا تغيير عادات كانت وبالا على سابقاتها، كتعيين القادة والملوك مثلا، حيث لا يشترط في التصور الصيني أن يكون الحاكم من عائلة حاكمة، بل يجب إخضاعه إلى امتحانات صارمة تحدد أهليته للمنصب من عدمه. وأطلق راسل على هذا النظام الذي أوجده كونفوشيوس نظام النجاعة تأسيا بالتصور الداروينيي، لأن الحكم سيكون للأنجع فقط، لا للورثة[5]. هكذا استطاعت الصين تطوير حضارتها بتغيير عادة من عاداتها.

ولا يختلف الأمر بالنسبة للحضارات الأخرى، فالحضارة الإسلامية قامت على عادات جديدة ترتكز أساسا على الوحدة التي عززها التعصب للدين الجديد، فانتقلت بذلك القيادة الحضارية من الامبراطوريات القديمة إلى الدولة الإسلامية الفتية التي انتصرت في كل حروبها معهم[6]، ولم تشذ الحضارة الغربية عن القاعدة، إذ بعد مخاض عسير عاشته للخروج من قرون وسطى كانت وبالا عليها، استطاعت بناء صرح حضاري كبير بعد تغيير عاداتها أيضا على إثر تبنيها للتفكير والروح العلمية، حيث لم تتميز أوروبا عن غيرها فيما يقول **راسل** إلا من خلال كم العلماء الكبير الذي كانت تفتقر إليه الحضارات الأخرى ، فإنجلترا مثلا أنجبت نيوتن وروبرت بويل وغيرهما من العلماء، وهم من سمحوا للحضارة الغربية في

،) Bertrand Russell [1](**The prospects of industrial civilization** ; Routlege classics; landon and New York ; 2010 ; p 04

(1) برتراند راسل : **آمال جديدة في عالم متغير** ، ص 25.

[3]) Bertrand Russell: Bertrand Russell's Dictionary of Mind ; Matter and Morals ; p 78.

[4]) A . J . Ayer : **Russell** ; London : The Woburn Press ; 1974; P135/136 .

)[5](Bertrand Russell ، **the problem of China** ، p 47 .

[6]) برتراند راسل، **السلطان**، تر: خيري حماد، منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 1962، ص (164، 165) .

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** : http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

بريطانيا أن تتفوق على الحضارات الشرقية[1]، هكذا يجعل راسل من عامل تغيير العادات عاملا مهما لتطوير كل حضارة.

3.2 مرحلة الانهيار:

وكأي دورة حياتية، ستصل الحضارة يوما ما إلى الانهيار والاندثار، ويرجع راسل سبب ذلك إلى زيادة الرفاهية، وهو لا يختلف في هذا عن ابن خلدون، إذ أثبت تاريخ الحضارات القديمة أن زيادة الرفاهية ستؤدي إلى ضعف وهوان سكان المدينة وبالتالي سهولة الانقضاض عليهم من قبيلة أخرى، أو لنقل حضارة بالقوة، ستصبح بالفعل يوما ما بعد مرورها على المراحل التي ذكرناها سابقا. والدليل الذي يقدمه فيلسوفنا هو أن زيادة الرفاهية والترف واستصعاب الظروف الصعبة، والميل إلى الاهتمام بالفنون على حساب إعداد العدة للقتال، والتأهب لأي خطر محدق عند أي حضارة من الحضارات سيخلق نوعا من التخاذل بين أبنائها، ويجعلهم لقمة سائغة عند كل معتدٍ، ولنا في الحضارتين البيزنطية والفارسية خير مثال على ذلك، أذ أسفرت حياة الرفاهية عندهما على خلق جيل لم يستطع مواجهة العرب المتمرسين على المواجهة وعلى الصبر وعلى التحمل[2] مما أدى إلى انتصار العرب وانهيار حضارتين كانتا تقتسمان العالم بينهما.

والحضارة الإسلامية نفسها عرفت نفس المصير، فبزيادة حياة الرفاهية أصبحت مرتعا يرعى فيه المحتلون من أصواب مختلفة، وحتى وإن ولدت حضارات إسلامية أخرى على أنقاضها، لم تسلم هي الأخرى من الاندثار، بل انهارت جراء نفس الظروف المذكورة آنفا، إضافة إلى الصراع الحضاري وإشكالية التموقع في الصدارة، هذا ما يجعلنا نجزم فعلا بأن عيش الرفاه والصراع بين الحضارات أو الصدام بينها على تعبير هنتغتون يشكلان أهم أسباب اندثار الحضارات، وانسحابها من مسرح التاريخ لتتركه إلى من هي أكثر نجاعة من الحضارات على حد التعبير الدارويني[3] .

3. الحضارة الإنسانية المعاصرة وخطر الانهيار:

لم يعرف العالم يوما صراعا حضاريا محتدما كالذي نعيشه اليوم، فبعد أن كانت الحضارة الغربية في العصور الماضية حضارة فتية ولدت تحت ظروف خاصة، خضعت هي الأخرى لمخاض عسير، كان منطلقه الاستناد إلى العلم والتفكير العلمي، فازدهرت وبلغت أعلى مستوياتها في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، غير أن التطور الذي عرفته لم يكن كله خيرا لها، بل شكل وبالا ما فتئ أن فتح أبواب النهاية على مصراعيها لتطل عليها، منذرة إياها بدنو مصير سابقاتها، هذا ما دفع براسل إلى محاولة تحليل الأخطار المحدقة بها على أمل تجاوزها، وإنقاذ حضارتنا التي لم نشكلها بسهولة، بل كانت محصلة لعصور من الاجتهاد الإنساني، فما هي أهم الأخطار التي تهدد الحضارة الغربية ، والحضارة الإنسانية في مجملها؟

1.3 . الحرب:

بمجرد ذكرنا للحرب يتبادر إلى أذهاننا فكرة الخوف التي تسهم في بناء الحضارة، ما يجعلنا نكون أكثر تفاؤلا، باعتبار أن ما يخيفنا سيدفعنا إلى العمل على تجنبه لبناء صرح حضاري جديد، غير أن وضع الحرب المعاصرة يختلف عما سبقها من حروب، فبعدما كانت تشير إلى مجرد اشتباك بين مجموعتين من الناس تحاول كل جهة التغلب على الجهة الأخرى من خلال قتلها أو تشويهها[4]، أصبحت مقترنة بالدمار الشامل، الذي لم يعد يستثن أحدا، بل أصبح يهدد كل من يوجد على الأرض، ولنا في الحرب العالمية الأولى خير مثال يمكن تقديمه، حيث كشفت أن هناك أمرا ما خاطئا في حضارتنا يجب اكتشافه[5]، والغوص في روح هذه الأخيرة هو ما سيمكننا من ذلك .

([1]) (Bertrand Russell ، **the problem of China** ; p 52 .

([2]) برتراند راسل، **السلطان**، 165 .

([3]) المصدر نفسه، ص 189 .

([4]) برتراند راسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ص 65 .

([5]) (Bertrand Russell ، **the problem of China** ، p 17 .

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** : http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

ولا يقوم المحرك الأساسي للحضارة الإنسانية الآن وفق التصور الراسلي على مبدأ الاتفاق، بل على الصراع الذي تحركه مشاعر الحسد بين الأمم، والتي تؤجج الكراهية التي تكون سببا مباشرا للحرب، ولا تنمو هذه المشاعر لولا الأدلجة التي تنتهجها الدول لتمييز البشر عن بعضهم البعض، حيث تقوم كل دولة بتنشئة أبنائها ليكونوا منفصلين عن غيرهم، من خلال دس أفكار إيديولوجية داخل المناهج التربوية. ولعل ما يتم تقديمه في مادة التاريخ يعد أخطرها على الإطلاق، إذ تحشر في عقل النشء تصورات تحركها مصالح الدولة الأم، ليتحول من كانوا أصدقاء يوما ما إلى أعداء، والأعداء إلى أصدقاء وفقا لتغير مصالحها[1]*.

هذا ما يجعل الأطفال مجرد وسيلة يتم استغلالها لاحقا لتخريب العالم، حيث << تعمل آلية (كل دولة)، على أن يؤمن الأطفال العزل بالعبارات الخرقاء التي تجعلهم راغبين في الموت دفاعا عن مصالح شريرة حاملين الانطباع بأنهم يقاتلون من أجل الحقيقة والحق>>[2]، ليتقاتل لاحقا من لا تعنيهم الحرب شيئا، لا من قريب ولا من بعيد، والخاسر الأكبر هو الحضارة الإنسانية في كليتها[3].

هكذا أصبحت الحرب المهدد الرئيسي لانهيار الحضارة الإنسانية، دون توقع انبعاث حضارة أخرى، باعتبار أن نشوب حرب عالمية أخرى ستدمر العالم بصورة كلية، لذلك انظم راسل إلى صف الرافضين لاندلاعها، خاصة و أنه أدرك إدراكا تاما أن الحرب ليست حلا، كما أن اللجوء إليها و التهليل لها لم ينبع من نفس الإنسان الشريرة، بل فقط من كراهيته للرتابة وحب المغامرة[4]، هذا ما سيفرض عليه إيجاد وسائل أخرى للترفيه تبعده عن شرارتها.

بهذا اختار فيلسوفنا مسارا جديدا، لا يهدف إلا لتصحيح أخطاء الإنسانية، لألا يكون مصير الحضارة الغربية نفس مصير سابقاتها، فكانت الحرب العالمية الأولى بمثابة المنعطف الحاسم في حياته، لتحوله من رجل المنطق والرياضيات، إلى أشد المدافعين عن السلم العالمي، والواعين تماما بخطورة الانفلات العبثي للشهوات الإنسانية التي تحركها ما أسماه بحمى الحرب[5]، وتوجيهها للإنسان نحو مصير مجهول لا يمكن أن يقذف به وبحضارته إلا إلى النهاية.

2.3 العلم:

قد يعتقد الكثيرون أن برتراند راسل وقع في التناقض لما اعتبر العلم من أهم الأخطار التي تهدد استمرارية الحضارة المعاصرة، باعتباره كان من أنصاره، واعتبره من العناصر الفعالة لظهور الحضارة الغربية المعاصرة، غير أن الأمر لم يكن كذلك، إذ أنه في تصوره لم يستطع كسب كل المعارك في خدمة الإنسان، حتى وإن كسب أغلبيتها، بتسهيل حياة الكثيرين، لكنه في المقابل صعب من حياة البقية، على أساس أنه فتح الباب أمام استغلال الإنسان تحت مسميات جديدة، تقترب في الغالب من عبودية القرون الوسطى، فانتشرت عمالة الأطفال، وتزايدت الاعتداءات الجسدية والجنسية عليهم، كما تفاقمت مآسي السود في أمريكا، وازدهرت تجارة العبيد، واستغلال الزنوج[6].

([1]) برتراند راسل، **ما الذي أومن به، مقالات في الحرية والدين والعقلانية**، تر: عدي الزعبي، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، ط 1، دمشق، 2015، ص 162 .

*) كان الألمان في المناهج التي درسها راسل أخيارا، في حين كان الفرنسيون يشكلون بؤرة الشر ، ولكن النظرة سرعان ما تغيرت في المناهج التي حُورت بعد الحرب العالمية الأولى، ليصبح الفرنسيون أخيارا والألمان أشرارا، المصدر: برتراند رسل ما الذي أومن به، مقالات في الحرية والدين والعقلانية، ص 162 .

([2]) المصدر السابق، ص 163

([3]) برتراند راسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ص 42 .

([4]) المصدر نفسه، ص (75 / 77) .

([5]) المصدر نفسه، ص 75.

([6]) برتراند راسل، **أثر العلم في المجتمع**، تر: صباح صديق الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 2008، ص ص 43 ، 44 .

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** : http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

ولم تقف خطورة العلم عند هذا فقط، بل زادت عليها تنشيط السباق نحو التسلح، والصراع حول من يمتلك أخطر الأسلحة وأشدها فتكا، فبعد أن كانت الغاية الأساسية له تكمن في زيادة المعرفة الإنسانية وزيادة سيطرة الإنسان على قوى الطبيعة في مصلحة الجميع، أصبحت تختصر في تطوير الأسلحة[1]، مما جعل كوكبنا خزانا ضخما لما أسماه راسل بآلات الموت المدمرة ينذر بتخريب العالم في أي لحظة، حتى أصبحنا على رأيه نعيش في آخر عهود الإنسان، وإذا حصل فعلا ذلك فسنكون مدينين للعلم في إبادتنا[2].

بهذا أصبح عالمنا قاب قوسين أو أدنى من الانهيار، ملقيا بحضارته إلى الهاوية، لتسهم الزيادة في ترسانة ما أسماه راسل بالهراء المتفجر بوضع العالم أجمع تحت رحمة مجانين يقودهم تكبرهم إلى تخريب العالم، بل حتى وإن توقف الإنسان عن تصنيع هذا الهراء فلن يسلم من أخطاره، لأن الأغبار المشعة المنجرة عما تم تفجيره منها تكفي لتهديد تواجدنا على هذا الكوكب، بحيث << تنشأ عنها سحب محملة بالإشعاع تتقاذفها الرياح وتدفعها هنا وهناك دون اعتبار للحدود السياسية، فتحمل معها الموت إلى منطقة بعد منطقة >> [3]، وتزرع الأمراض والخراب أينما حلت.

هكذا أرادها العلم، آلات تخريب عابرة للجغرافيا والتاريخ، فأثار تفجير نووي واحد تؤثر على الكوكب أجمع، ولآلاف السنين، مما يجعل آلة الموت تلك نشطة حتى بعد مرور آلاف السنين على انطفاء وميضها، لذلك يعتقد راسل رفقة الكثير من الفلاسفة أن << القنبلة الذرية (جعلت) الكثير من الناس خلال السنين السبعة الأخيرة يفكرون بأن التقنية العلمية قد طورت أكثر مما يجب>>[4]، ويجب إيقافها مهما كان الثمن، وتحت أي ظرف.

4. الدولة العالمية وحماية الحضارة الإنسانية:

لم يكتف راسل بتعداد الأخطار المحدقة بالحضارة الإنسانية دون التحرك لحلها، وتجاوزها، بل حشد كل ما يملكه من قوة لأجل جعل ما عكف الإنسان على إنتاجه على مر كل الدهور الماضية بمنأى عن منطقة الخطر، ولم يجد سبيلا إلى ذلك غير اصطناع كيان دولي، مهمته الأساسية حماية الكون من مغبة الوقوع مجددا في حرب عالمية ستأتي على كل صور الحياة فيه، هذا ما فرض عليه إعادة النظر في أهمية الدول الوطنية بالنسبة للإنسان، إذا هي تعزل مواطنيها عن غيرهم من البشر تحت ستار ما يعرف بالمواطنة، والتي يعززها الشعور الغريزي بالانتماء بين كل من ينتمون إليها، ويضمن انصياعهم لقوانينها[5] فيصبح البشر مجرد كيانات منفصلة يمكن أن تندلع شرارة الحرب بينهم في أي لحظة.

ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى تطرف الوطنية وتزايد قوتها لتصير بمثابة إيديولوجيا تعمل فقط على تعزيز هذا التشتت الدولي، وانغلاق كل دولة على ذاتها، مما يمنع مد أواصل الأخوة بينها، ويعيق التضامن الوجداني مع نكبات الغير، فكلما زادت الوطنية عند أمة من الأمم واشتد أوارها، اشتدت لا مبالاتها بنكبات الأمم الأخرى[6] بذريعة أنهم لا ينتمون إلى نفس الوطن، وبالتالي يمكن أن يتحولوا في أي لحظة إلى أعداء يمكن الاعتداء عليهم إذا سنحت الفرصة، هذا ما يجعل التشرذم في الدول الوطنية أكبر خطر على الحضارة الإنسانية، لأن <<الدولة تصبح شرا بكثرة ما تقيمه من الحواجز بينها وبين غيرها من الدول، وهي حين تشرع في حرب عدوانية تصبح عصابة تقوم على السلب والنهب >>[7]، مما يجعل حضارتنا تحت رحمة هذا الصراع بين الفرقاء .

([1]) برتراند راسل، **هل للإنسان مستقبل**، تر: سيد عبده، تصدير أرنولد توينبي، دار المسيرة للطباعة، دار دمشق للطباعة والنشر، ط 2، بيروت، 1982، ص ص 83 ، 84 .

([2]) برتراند رسل، **أثر العلم في المجتمع**، ص ص 110

([3]) برتراند راسل، **المجتمع البشري بين الأخلاق والسياسة**، تر: عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 158 .

([4]) برتراند راسل، **أثر العلم في المجتمع**، ص 42 .

([5]) برتراند راسل، **مثل عليا سياسية**، تر: فؤاد كامل عبد العزيز، المؤسسة العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة، والدار القومية للطباعة، ص 56 .

([6]) برتراند راسل. **أسس لإعادة البناء الاجتماعي**، ص ص(43 . 45)

([7]) المصدر نفسه، ص 49 .

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** : http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

لذلك، لا يمكن للحضارة الإنسانية أن تزهر مجددا في هذه الظروف، بل عليها أن تجد طريقا لبناء حكومة عالمية ستقضي على كل مساوئ الدولة الوطنية، التي << بدون(ها) سيكون من المستحيل الحفاظ على الحضارة لمائة عام أخرى>>[1]. ولن يكون ذلك متيسرا ما لم تعمل على تنشئة الإنسان العالمي الذي لا يختصر انتماءه في حدود ضيقة رسخت في رأسه تحت تأثير مادة الجغرافيا على أنها موطنه، في حين كان من الأجدر أن يعرف أن انتماءه الحقيقي هو للإنسانية جمعاء، لذلك يجب في رأيه وضع المناهج التربوية الدولية كلها، خاصة لمادة التاريخ تحت إشراف هيئة عالمية مهمتها الأساسية هي وضع كتب مدرسية محايدة خالية من التحيز الذي تمليه الوطنية[2]، لتخفيف الكراهية بين الأشخاص والدول[3].

هكذا يصبح التقارب الوجداني بين البشر ممكنا تمهيدا لبناء كيان دولي تنتمي إليه البشرية جمعاء دون استثناء، والسؤال الذي سيفرض نفسه علينا هو كيف يمكن لهذا الكيان أن يقوم؟ هل عن طريق الاتفاق بين جميع البشر على تشكيله أم عن طريق توسع دولة ما لتستغرق العالم أجمع؟

الإجابة عند رسل ليست سهلة، لأن السبيلين معا تحيط بهما مخاطر جمة، فالاتفاق بين الفرقاء غير ممكن، لأنه من غير المعقول أن تتنازل دولة عظمى تمتلك أسلحة دمار شامل لتتساوى مع دولة ضعيفة تبحث فقط عن استقرار مواطنيها، ف << أي حكومة تتكون على أساس الاتفاق المتبادل، كما تكونت كل من عصبة وهيئة الأمم المتحدة، ستكون ضعيفة لأن الأمم التي تتكون منها ستشعر، كما شعر سادة الإقطاع في العصور الوسطى بأن الفوضى خير من فقد الاستقلال>>[4]، هذا ما جعل راسل يرفض الاقتراح الأول ليميل إلى الثاني، على أساس أن استقراء تاريخ الحضارات القديمة يبين أن الدول الكونية التي سادت كان منطلقها توسعيا، ليصبح فيما بعد اندماجيا، فالإسكندر المقدوني مثلا قام باحتلال الكثير من الأقطار، غير أنه رفض معاملتها على أساس أنها مجرد رقعة محتلة يمكن اضطهادها، بل قام بالاندماج فيها من خلال الزواج ببناتها، وأمر كل قادته بالقيام بنفس الفعل[5]، وهذا هو ما يجب أن يحدث، إذ ستقوم دولة قومية واحدة بالتوسع على كل الدول لأجل الاستحواذ على الأسلحة جميعها وتوحيد الجيوش العالمية في جيش واحد، ليتم بعدها العمل على الاتحاد في كيان فيديرالي يسيره دستور ويخدم الجميع، واقترح أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة المنشودة لما تحوزه من قوة وهيمنة على نصف العالم الغربي[6].

هكذا سيصبح العالم مستقرا نوعا ما، ومع قيام الدولة العالمية بالمهام التي أوجدت من أجلها سيتحقق السلام والاستقرار اللّذين يتمناهما الجميع في سبيل استمرار حضارتنا المعاصرة، وتتحدد مهام هذه الدولة في ضمان استقرار حياة البشر، من خلال توفير القدر المتساوي من الغذاء والأمن للجميع دون استثناء ضمانا للسلم، ولما كان عدد السكان بين ما أسماه بالاتحاديات أو الفيدراليات المنضوية تحت رايتها متباينا جدا، بين من تجاوز المليار نسمة، ومن لم يعتب بعد عتبة المليون، اقترح إعادة توزيع عددهم بالتساوي على جميع الأقاليم[7]، من أجل القضاء على المنافسة حول الغذاء، والتي إذا اشتدت ستخلق مشاعر الحسد بين البشر جميعا، مما سيسمح باندلاع الحروب مجددا، وهذا ما لا يجب أن يحدث[8].

---

[1]) Bertrand Russell ، **The prospects of industrial civilization** ، p 63 .

[2]) برتراند راسل، **نحو عالم أفضل**، تر: دريني خشبة، وعبد الكريم أحمد، المركز القومي للترجمة، 1956، القاهرة، ط 1 ، ص 117 .

[3]) Bertrand Russell، **The Prospect of industrial civilization** ، p 205.

[4]) برتراند راسل ، آمال جديدة في عالم متغير ، تر عبد الكريم أحمد ، : آفاق للنشر و التوزيع ، 2018 ، القاهرة ، ط 1 ، ص 78 .

[5]) برتراند راسل ، بحوث غير مألوفة ، ص 141 .

[6]) Bertrand Russell ، The prospects of industrial civilization، p 65/66 .

[7]) Bertrand Russell ، common sense and Nuclear warfare ، Routledge ;classics ، London and New York ، 1est p ; 2010 ; p (48.49) .

[8]) Ibid ; p 48/49.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** : http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

لذلك ستهتم الدولة العالمية بضمان التوزيع العادل لعدد السكان بين الأقاليم وضمان تقسيم متساو للطعام والثروات بينها جميعا، من خلال السعي إلى أن تتناسب الزيادة السكانية بشكل طردي مع الطعام المتوفر، وعدم السماح بارتفاعها لتتجاوز طاقة انتاج أي إقليم له، ويقترب راسل في تصوره هذا من مالتوس، غير أنه لم يوافقه في حلوله التي اقترحها، على أساس أنه يمكن إيقاف زيادة السكان والتحكم بها من دون اللجوء إلى الحروب، بل عن طريق وضع خطة ناجعة لتحديد النسل[1]، مع العمل على حماية الأراضي الزراعية حتى لا يتم استنزافها، من خلال وضعها تحت تصرف الحكومة العالمية التي تضع قوانين صارمة تجرم كل من يلحق بها الأذى على اعتبار أن من يؤذي الأرض فقد آذى البشرية جمعاء [2].

كما تعمل الدولة العالمية أيضا على التوزيع العادل والمتساوي للثروات الطبيعية، لأن بقاء هذه الأخيرة ملكية خاصة للدول الوطنية سيولد مشاعر الحسد، مما سيشعل فتيل الحروب مجددا، هذا ما دفعه إلى اقتراح أن تكون ملكيتها بيد الحكومة العالمية، لتكون مشاعا بين البشر جميعا، لتقل حدة الحسد بينهم، ويقل تغول سلطان الاقتصاد الذي حوّل الدول من كيانات سياسية مستقلة إلى كيانات تفتقر إلى الاستقلالية بسبب تحكم القوى الاقتصادية في دواليب الحكم[3].

ويقترب رسل كثيرا في تصوره هذا من ماركس، غير أنه يختلف عنه في جعل سبب الحروب لا يقتصر فقط على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، بل يتجاوزه إلى الملكية القومية لها، لذلك يجب إلحاقها بالحكومة العالمية لتكون ملكية عامة للشعوب جميعها[4]، وللتخلص من الحرب نهائيا يجب أن يكون هناك توزيع عادل لوسائل الإنتاج وحتى في الأرباح التي تدرها، لألا يكون هناك شعوب غنية وأخرى فقيرة، ف << إذا ما أريد لمثل هذه السلطة الدولية أن تحوز نجاحا في محو الدوافع الكامنة وراء المشاعر العدائية المؤدية للحرب، فإن عليها أن تعمل لتشجيع الاتجاه نحو مساواة اقتصادية في مستوى الحياة للأجزاء المختلفة من العالم >>[5]، عندها فقط يمكن الحديث عن سلام عالمي يضمن لنا حماية حضارتنا من الاندثار.

ولتمارس الدولة العالمية مهامها على أكمل وجه يجب أن تكون كل آلات الموت تحت تصرفها، مع تكوين جيش عالمي قوي، يفرض التخلي بشكل تام عن القوات المسلحة القومية[6] ليكون ولاؤه للحكومة العالمية فقط، لا للحكومات الوطنية، لأن الغاية منه هي حل النزاع بين المختلفين، والانتماء إلى أي دولة يعني الانحياز إليها في فك النزاع، هذا ما دفع راسل إلى تكليفه بتطبيق كل قرارات الحكومة الكونية، وإذا رفضت إحدى المتنازعتين تحرك ضدها[7] لإيقاف عدوانها، لأن الغاية الأسمى هي تحقيق السلام، وأي مهدد له سيكون عدوا للدولة العالمية الحامية له، هذا ما يجعله عدوا لجيشها الذي سيتحرك لحماية العالم.

وليست مهمة الجيش قمع القوميات، بل حمايتها من عدوان بعضها على بعض، لأن غاية الدولة العالمية هي حماية حرية الجميع وضمان السلم والاستقرار لهم جميعا، لا دمجهم في كيان واحد لا يعترف بتميزهم، إذ << لكل أمة الحرية الخاصة في تقرير شؤونها الداخلية >>[8] بعيدا عن تأثير الحكومة العالمية. بهذه الطريقة فقط يمكن من منظور راسل تجنب الحروب.

ولا يعني كلامه هذا التخلص من قوات الأمن في الدول الوطنية بصورة نهائية، بل يقترح بقاء بعض منها لتهتم بالأمن الداخلي للدول لفك النزاعات بين الأفراد غير المسلحين، لذلك لا تتجاوز أسلحة هذه القوات بعض الأسلحة الخفيفة التي تضمن استتباب الأمن الداخلي للاتحاديات[9]، بهذه الكيفية فقط يضمن راسل تقليص عدد الجيوش الوطنية وقوة ترسانتها دون الإخلال بالسلام العالمي، إذ سيتكفل الجيش

([1]) برتراند رسل، **أثر العلم في المجتمع**، ص 144.
([2]) برتراند رسل، **آمال جديدة في عالم متغير**، ص 217.
([3]) برتراند رسل، **السلطان** ، ص 321.
([4]) برتراند رسل، **آمال جديدة في عالم متغير**، ص 218.
([5]) برتراند رسل، **هل للإنسان مستقبل؟** ص 96.
([6]) برتراند راسل، **السلطان**، ص 244.
([7]) برتراند راسل، **آمال جديدة في عالم متغير**، ص 100.
([8]) برتراند راسل، **مثل عليا سياسية**، ص 55 .
([9]) برتراند رسل، **آمال جديدة في عالم متغير**، ص 219 .

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** : http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

العالمي بحماية بغي الدول على بعضها البعض، لتتكفل الفرق البوليسية الصغيرة بحماية الأفراد، وكأن راسل في فكرته هذه يقوم بعملية بناء جديد لمفهوم الأمن ينطلق من أمن الفرد إلى أمن الدولة فالعالم أجمع، فإذا لم يعش الأول في سلام، لن يستطيع الأخير الظفر بلحظة في كنفه، هذ ما حذاه إلى الاهتمام بأمن الأفراد داخل الجماعة التي ينتمون إليها، وحماية الجماعة داخل الحكومة العالمية.

خاتمة:

مما سبق يمكن القول أن برتراند راسل كان فيلسوف حضارة بامتياز ، بحيث أنه لم يركز على مفهوم الحضارة بقدر تركيزه على بناء الإنسان الحضاري، لأنه يعلم علم اليقين أنه مثلما يصطنع الإنسان حضارة من الحضارات، بإمكانه تخريبها إذا توفرت ظروف معينة، لذلك تعد تنشئة الإنسان الحضاري أهم من مفهوم الحضارة ذاته، هذا ما جعله يعمل على توفير ظروف تنشئته، لتكون الحكومة العالمية هي التي تضمن ذلك .

ولا تعد هذه الأخيرة عنده غاية في حد ذاتها، بل هي وسيلة لحماية الحضارة الإنسانية من الاندثار، لذلك جعلها آخر الحلول المقترحة، فلا مفر من هيكلتها لأجل تحقيق السلم والأمن العالميين، كما سعى إلى بنائها، وتحقيق مقاربة لها تسمح للإنسان أن يعيش في سلام، غير أن تعطش قوى الشر الغربية للسيطرة حال دون ذلك، إذ بقي تصوره حبيس الأدراج، ليكون مثل تصور طوباوي يستحيل تحقيقه، والخطأ لا يكمن في شخص راسل ذاته على ما نعتقد، بل يكمن في أنانية الإنسان الغربي الذي اكتفى بقشور الحضارة الغارقة في تشيئها وماديتها، ملقيا بروح الحضارة الحقيقية التي تصورها راسل عرض الحائط.

هكذا قدم راسل تصورا كان ليخلصنا فعلا من جميع الحروب التي طالت العديد من الأصقاع، كالعراق واليمن وسوريا وغيرها، غير أن سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم وعلى خلاف ما تصوره راسل جعلت الكون على فوهة بركان، باعتبار أن العولمة اليوم لم تؤد مهام الدولة العالمية التي تصورها، بل أصبحت بمثابة الاستعمار الجديد الذي إذا بقي على حاله قد يوصل العالم إلى ما يخشاه الجميع، ألا وهو اندثار الحضارة الإنسانية ككل.

12

1

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث، شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر- **الموقع الإلكتروني(URL)** : http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -